هوامش

وافقت اللجنة الثانية لحماية الممتلكات الثقافية بإسطنبول، على بناء مسجد بساحة تقسيم، بعد نصف قرن من الرفض ووضع العراقيل، وكان الافتتاح يوم الجمعة الماضي

تشير معلومات إلى انّ شركة «فين يابي زسور يابي» التركية هي من نفذت المشروع (Getty)

جامع تقسيم

افتتاحٌ بعد خمسين عاماً من الرفض

إسطنبول ـ **عدنان عبد الرزاق**

يقول الأتراك إنّ حلم الرئيس رجب طيب أردوغان، ببناء مسجد بساحة تقسيم، تم إعلانه قبل 27 عاماً، حين انتخب أردوغان رئيساً لبلدية إسطنبول الكبرى عام 1994، وقطع وعداً لناخبيه وقتذاك.

المكان بحسب معلومات رجل الدين التركي، خليل الطويل كان فيه مسجدٌ في الأصل. كما أنّ حالة الحرية والتعددية بتركيا «تفرض وجود مسجد إلى جوار كنيستين ونصب مؤسس الجمهورية أتاتورك» معتبراً أنّ المشهد يزيد من حرية المعتقد ولا يسيء لأيّ دين أو حزب، كما يدّعي البعض. ويشير رجل الدين التركي بحديث لـ«العربي الجديد» إلى أنّ المساجد التي تشاد بتركيا خلال العقود الأخيرة «تأخذ طابع المجمعات الثقافية والعلمية فهي ليست دور عبادة فقط، إذ إنّ جامع تشاموليجا الذي افتتح قبل عامين، يضمّ قاعة مؤتمرات ومتحفاً ومكتبة عامة ومعرضاً للفنون. وجامع ساحة تقسيم، فيه أيضاً قاعة للمعارض ومساحة للجمعيات ومرأب خاص من ثلاث طبقات لسيارات المصلين والزوار، نظراً لخصوصية وضيق الساحة».

انتهت، بحسب الطويل «جميع الاستعدادات لافتتاح المسجد» الممتد على مساحة 2482 متراً مربعاً، بارتفاع يصل إلى 303 أمتار، ويتسع لنحو 2500 مصلٍّ. وجرى إتمام جميع أعمال البناء والتزيين. كذلك، فُرشت أرض المسجد بالسجاد، ومُلئت المستودعات باحتياجات المسجد. وتم يوم الجمعة الافتتاح بحضور الرئيس أردوغان. وتشير معلومات إلى أنّ شركة «فين يابي زسور يابي» التركية هي من نفذت المشروع الذي صممه منذ أربع سنوات، المعماريان التركيان، شفيق بيرقية، وسليم دالامان، على طراز مزيج بين العمارة الحديثة والشكل الكلاسيكي للمساجد العثمانية التي أرساها المعماري الأشهر، سنان آغا، المعروف برئيس المعماريين العثمانيين.

ويضم المسجد الجديد، قاعة خاصة للمعارض الثقافية بمساحة 155 متراً مربعاً، إلى جانب مساحة مخصصة للأوقاف والجمعيات تقدر بـ 180 متراً مربعاً، فضلاً عن طابق خاص للنساء بمساحة 320 متراً مربعاً، يتسع لـ 375 مصلّية. وتبرز مساحة الطابع الأرضي (820 متراً مربعاً) كأكبر طوابق المسجد إذ تتسع لنحو ألف مصلٍّ، كما يبلغ قُطر القبة الرئيسية فيه 28 متراً وارتفاعها 29 متراً وطول المئذنة الواحدة 61 متراً.

تعالت أصوات تركية معارضة، تدين بناء الجامع بمنطقة «نسيجها الديني والاجتماعي مسيحي وعلماني» داعية لبناء معلم ثقافي أو صرح علمي بمنطقة هي الأكثر شهرة بتركيا. كما أشارت بعض المصادر، إلى أنّ أهم أسباب احتجاجات عام 2013 أو احتجاجات «غيزي بارك» التي قادها علمانيون احتجاجاً على ما سميّ وقتذاك، بخطة التنمية الحضرية لمجمع ميدان غيزي، كانت خطة بناء المسجد والادعاء أنّ حكومة العدالة والتنمية تجاوزت علمانية الدولة التركية، خصوصاً، بحسب المصادر لـ«العربي الجديد» أنّ المسجد الجديد يقع قرب كنيستين، ما يعني أنّه بمثابة «استفزاز وتحدٍّ».

لكنّ رجل الدين كمال الطويل، يردّ أنّ معالم المنطقة الديموغرافية قد تغيرت، بل تفتقر الساحة التي يزورها عشرات الآلاف يومياً، لجامع، ويقول: «نحن أخوة وليس من تحدٍّ أو استفزاز بالموضوع» مضيفاً حول الاتهامات التي تساق لحزب العدالة والتنمية الحاكم، أنّه أشاد ورمم نحو 11 ألف جامع منذ تسلمه الحكم نهاية عام 2002، أنّ المستشفيات تضاعفت والمدارس والجسور والساحات أيضاً» معتبراً أنّ من غير المنطقي تضخيم الاهتمام بدور العبادة، خصوصاً أنّه جرى ترميم 14 كنيسة مسيحية، وكنيس يهودي، في تركيا. يعلق: «إسطنبول تجمع الأديان والثقافات بإخاء وسلام، وللجميع حرية العبادة وتلك مسؤولية الدولة».

وكان الشطر الآسيوي بإسطنبول، قد شهد أول أيام شهر رجب للعام 1440 للهجرة (8 مارس/ آذار 2019) افتتاح أكبر مسجد بتركيا، على قمة تشامليجا بمنطقة أسكودار وهو يأخذ شكل المجمع أكثر من الجامع، نظراً لبنائه على مساحة 15 ألف متر مربع واستيعابه أكثر من 60 ألف مصلٍّ، تعتليه 6 مآذن، 4 منها بطول 107,1 أمتار، واثنتان بطول 90 متراً، فيما يبلغ ارتفاع قبته نحو 72 متراً وقطرها 34 متراً، ويحتوي على قاعة مؤتمرات كبيرة، ومتحف للآثار الإسلامية التركية، ومكتبة عامة، ومعرض للفنون، إضافة إلى موقف لعربات الزائرين.

ويضاف مسجدا «تشاموليجا وتقسيم» اللذان بنيا بعهد الرئيس أردوغان، إلى أكبر جوامع إسطنبول، كمسجد السلطان أحمد الذي شيّد من قبل السلطان العثماني أحمد الأول 1590 . 1617، ومسجد أيوب سلطان الذي شيّد بزمن السلطان محمد الفاتح عام 1481 بعد فتح القسطنطينيّة.

باختصار

المساجد التي تشاد بتركيا خلال العقود الأخيرة تأخذ طابع المجمعات الثقافية والعلمية فهي ليست دور عبادة فقط

■■■

يضم المسجد الجديد، قاعة خاصة للمعارض الثقافية بمساحة 155 متراً مربعاً، إلى جانب مساحة مخصصة للأوقاف والجمعيات تقدر بـ 180 متراً مربعاً

■■■

تعالت أصوات تركية معارضة، تدين بناء الجامع بمنطقة «نسيجها الديني والاجتماعي مسيحي وعلماني»

وأخيراً

القدس والبيانات المثقفة

محمود الرحبي

ربما يعتبر التوقيع على بيانٍ يدين التطبيع مع الكيان الصهيوني، أو يدين العنف الذي يمارسه الاحتلال ضد أشقائنا في فلسطين، خطوةً متقدمة على ما تعودناه من إعلام الأنظمة العربية المقتضب في كلمتين أو ثلاث، أصبحت مع مرور الوقت تثير السخرية، بل غدت أشبه باللوازم المحفوظة، حتى قبل أن تُنطق، من قبيل كلمتي «الشجب» و«التنديد».

وتوقيع البيانات، والذي عادة ما يقوم به مثقفون، خطوة أفضل، والسبب أنّها تحتوي على عبارات صريحة وواضحة، وكأنّما تفسر هذا الشجب والتنديد وتشرحهما. تحول الملفوظ من كلمتين إلى نصف صفحة مذيلة بتواقيع الأسماء. لكن، بعد ذلك، يذهب كلٌّ إلى حال سبيلة. قام الإعلام الرسمي بواجبه بكلمتين، والمثقفون بنصف صفحة وأحياناً بثلاث. ماذا بعد ذلك؟ لا شيء. كلٌّ من الفريقين أرضى أناه. ندّد المثقفون وشجبوا بطريقتهم، وبذلك هم راضون كلّ الرضا عما فعلوا، وكاتب هذه السطور لا يستثني نفسه. لكن، هل هناك خطوة ثانية من المهم القيام بها؟ هل، مثلاً، جمعنا أموالاً من أجل بناء مدرسة، أو بناء مركز أو مقهى ثقافي؟ هل ساعدنا أهلنا في فلسطين بأضعف الإيمان؟

لا بدّ أنّه في حالة الكوارث، والفلسطينيون في وطنهم يتعرّضون لكوارث يومية، يبيع الناس حتى مجوهراتهم من أجل مساعدة أقاربهم، كي يستطيعوا أن يصمدوا في الحياة، فإن حدث زلزالٌ - لا قدّر الله - في منطقةٍ ما من بلد ما، سترى سكان المناطق المجاورة يسعون إلى المساعدة، حتى تستطيع تلك المنطقة المنكوبة أن تشعر بالمؤازرة، وتعيش تعويضاً نفسياً عما أصابها، ولا تشعر أنّها وحيدة في وجه العاصفة، على الرغم من الخسائر الكبيرة، المادية والمعنوية. لكن أن يأتي، وإن شيء يسير من المحيط، فهذا معناه أن تشعر الضحية أنّها ليست وحيدةً، أمام غدر الطبيعة، فما بالك إذا كان هذا العدو في جبروت الكيان الإسرائيلي الذي ينكّل كل يوم وساعة بالفلسطينيين، ويحرّك كلّ العالم ضدهم، ولا يمرّ يوم أو أسبوع من دون أن نسمع عن سقوط شباب قتلى وجرحى. ونحن لا نستطيع فعلاً سوى الشجب والتنديد، وفي أحسن الأحوال، توقيع البيانات، من دون أن تدفعنا العزيمة إلى التقدّم خطوة أخرى، في تقديم يد العون والمساعدة. وقّع على بيانك، ثم اذهب لتنام مرتاحاً. لا يحتاج الأمر أكثر من «لايك» في «فيسبوك»، أو رسالة عبر «واتساب» من كلمتين، بعدها ستشعر كأنّك قد تحديت قانون الجاذبية، وقمت بأمر معاكسٍ سيُحدث فرقاً كبيراً. في الحقيقة، ليس من فرق بينك وبين ذلك الصامت الخائف إلا القليل. خطوة جميلة، لكنّها ضئيلة جداً، قياساً بالفعل الكبير الذي يقوم به العدو الإسرائيلي ضدّ إخوتنا الفلسطينيين.

يقول مثل «واحد كألف وألف كأف»... ألف كأف هم موقعو البيانات، وواحد كألف هم الفرادى الذين يتبرعون لبيت مال القدس وغيرها من مؤسسات فلسطينية، ومن أبرز هؤلاء المثقفين، وهي التي أعتبرت أيقونة، إذ كانت مواقفها فعلية فيه، الكاتبة المغربية، خناتة بنونة. وقد أخبرني أصدقاء أنّها كثيرة التبرّع لبيت مال القدس، حتى يقال إنّها باعت مقتنيات خاصة لهذا. وأذكر أنّها حين كانت في مسقط، بمناسبة اجتماع اتحاد كتاب العرب في العام 2013، وكانت قد مُنحت في ذلك العام جائزة القدس، أعلنت، في كلمة لها، أنّها ستتبرّع بالجائزة لبيت مال القدس، وأطلقت عبارتها التي سارت مثلاً: «مال القدس يرجع إلى القدس» وهذا ما فعلته حين عادت إلى الرباط، إذ أقامت حفلاً حضره سفيرا فلسطين وعُمان.

> لا نستطيع فعلاً سوى الشجب والتنديد، وفي أحسن الأحوال، توقيع البيانات، من دون التقدّم خطوة أخرى

وربما تعتبر الكاتبة بنونة مثالاً في هذا السياق، لكن لا بدّ أنّ ثمّة مثقفين آخرين، لا أعلم عنهم، يقومون بالفعل نفسه الذي يتجاوز بيانات التنديد والاستنكار، التي وإن كانت صادقة وانفعالية من كتّاب ومثقفين عرب أصحاب ضمير حيّ، إلا أنّها غير كافية. هي حديثٌ مؤثرٌ مهم، لكنّه يفتقد إلى الفعل، فعنصر المؤازرة لن يكون مكتملاً إن توقف فقط عند خطوة واحدة، هي خطوة الخطاب والبيان والتوقيع، إنّما يحتاج خطواتٍ جماعيةً أكثر نفعاً، كنموذج الكاتبة خناتة بنونة.

سعر النسخة: مصر **جنيهان**، تونس **900 مليم**، لبنان **1000 ليرة**، قطر **3 ريالات**، السعودية **3 ريالات**، الكويت **200 فلس**، الإمارات **3 دراهم**، عمان **300 بيزة**، البحرين **300 فلس**، الأردن **400 فلس**، العراق **500 دينار**، المغرب **4 دراهم**، الجزائر **ديناران**، اليمن **50 ريالاً**، سورية **25 ليرة**، السودان **10 جنيهات**، ليبيا **200 درهم**، موريتانيا **35 أوقية** ◻ UK **£ 1,20**, Austria **€ 2,20**, Belgium **€ 2,20**, France **€ 2,20**, Germany **€ 2,30**, Holland **€ 2,30**, Italy **€ 2,10**, Spain **€ 2,20**, Switzerland **CHF 3,50**
Turkey **TL 5,00**, USA **$ 2,00**